

حلقة الشؤون الاجتماعية لهيئة الأمم المتحدة

في بيروت

محاورة رئيس الجامعة السورية ومحاورة

وصفي زكريا عن العشائر البدوية

أسعفني الحظ في زيارتي الأخيرة إلى بيروت أن أحضر الجلسات الأولى لحلقة أو مؤتمر الدراسات الاجتماعية لهيئة الأمم المتحدة بشأن بلدان الشرق الأوسط التي نظمت لبحث مسائل الإنعاش الاجتماعي بصفة خاصة والتوفر على دراسة طائفة من المشاكل الاجتماعية التي تتصل بحياة الريف والحضر والبدو. وكان افتتاح هذه الحلقة في 15 آب الجاري في القصر الفخم الحديث الذي بنوه في العام الماضي في منطقة رملية جنوبي مدينة بيروت ودعوه بكلمة مختصرة (الأونيسكو) وقد ضمت هذه الحلقة مندوبين من هيئة الأمم المتحدة والجامعة العربية وعن الحكومات المصرية والعراقية والسورية واللبنانية والسعودية واليمنية والأردنية، وممثلين للمنظمة العالمية الصحية ومنظمة التغذية والزراعة العالمية ودائرة الإنعاش الاجتماعي في بلدان الشرق الأوسط العربية وجمع غير من المرافقين لهؤلاء الوفود أساتذة وموظفين وطلاب معاهد عالية رجالاً ونساءً بالإضافة إلى المستمعين والمستمعات، وكلهم من الطبقة المثقفة التي تعنى بمثل هذه الدراسات والبحوث الراقية.

وقد حشدت الحكومات والهيئات والمنظمات المذكورة صفوة من رجالها ذوي المعرفة والاختصاص في هذه الدراسات والبحوث. وكان المصريون كعادتهم سابقين في كثرة من أوفدوه من علمائهم وعالماتهم من مختلف الوزارات والمسالك

وفي كثرة ما جلبوه معهم وعرضوه من الرسائل والنشرات المطبوعة والجداول الإحصائية والألواح والصور الشمسية والأفلام السينمائية والمخططات والرسوم الملونة.. وكلها مما يعدد ويظهر أنواع الخدمات الاجتماعية وأشكالها الجارية في القطر المصري كوقاية الشعب من الأمراض السارية وتعليم النظافة والمداواة الأولية وتسهيل الزواج الصحي بين الأفراد وخدمة الحوامل والمرضعات والأطفال الرضع وتدريب الفلاحين على بعض الصناعات اليدوية التي يمكن إجراؤها خلال فترات الأعمال الزراعية وما إلى ذلك مما غبطناهم وتمنينا وجوده عندنا.

ولحظنا أيضاً أن الوفد السوري لم يمثل في الأيام الأولى سوى بالدكتور قسطنطين زريق رئيس الوفد وحده، وهو بعد أن ألقى محاضراته القيمة التي سنذكرها تغيب، ثم جاء في اليوم الثالث عضوان فقط، هما المهندس الزراعي الأستاذ وصفي زكريا ممثل وزارة الزراعة بصفته اختصاصياً بالشؤون الاجتماعية.

وقد عنيت الحكومة اللبنانية بأمر هذا المؤتمر وحسن افتتاحه كما أنها في اليوم الثالث 18 آب دعت جميع الوفود لحفلة شاي في سراي بيت الدين التي بناها الأمير بشير الشهابي، وحضر هذه الحفلة لبنان كله برؤسائه ووزرائه ونوابه ووجهائه رجالاً ونساءً فكان لذهاب الوفود وإيابها ومشاهدتهم جبال لبنان وحراجه وأوديته ومصايفه وأخيراً هذه السراي التاريخية الرائعة في بناءها وزخرفها وقع حسن في نفوسهم.. وحدث بعد مثل هذا الوقع لما دعيتهم الحكومة السورية لزيارة دمشق ومتحفها ومسجدها الأموي والأسواق والدور الأثرية ومنظر الغوطة الفيحاء، وخاصة لما أخذتهم إلى حفلة الشاي في فندق بلودان الكبير وأشرفوا على الجبال والمصايف السورية ولمسوا حسن الوفادة والترحاب، ورجعوا يحدثوننا عن ذلك بلسان الإعجاب والامتنان، وقد بلغنا أن الحكومة اللبنانية ستدعوهم ثانية في 27 آب لزيارة بعلبك وثالثة في 3 و 4 أيلول لزيارة الأرز في شمال لبنان.

وقد افتتح الحفلة فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية، وحضر فخامته مع

وزرائه وكبراء رجال لبنان وعلمائه وفضلائه، وكان أول المتكلمين معالي السيد فيليب تقلا وزير الاقتصاد والشؤون الاجتماعية فرحب بالوفود القادمة ونوه بأن لبنان مغتبط بأن يحصل تحت سمائه اجتماع مندوبين من شقيقاته العربيات جمعوا إلى خبرتهم الفنية إدراكاً عميقاً لمشاكلنا الاجتماعية الراهنة ومندوبين من الأمم المتحدة عرفوا بأنهم من ألمع الخبراء العالميين في دروس العضلات الاجتماعية فينكبون على استقصاء هذه العضلات واستئصالها ورفع مستوى سكان هذه البقعة الشرقية الخ.. وتلاه مدير الحلقة السير رفائيل سيلانتو من هيئة الأمم المتحدة، ف شكر رئيس الجمهورية اللبنانية على حضوره وعلى تكريم لبنان بدعوة هذه الحلقة للانعقاد في بيروت وتقديمه التسهيلات اللازمة، واستطرد أن أمين السر العام لهيئة الأمم المتحدة أعلمه بأنه مستعد أن توزع فوراً خمس عشرة منحة قصيرة الأمد بين جميع بلدان الشرق الأوسط لمن توفدهم حكوماتهم ليزهبا (ويراقبوا بسرعة أية ناحية خاصة من نواحي الإنعاش الاجتماعي يختارونها في أي بلد يقع عليها اختيارهم أيا كانت) وقد طلب الإسراع بتلبية هذه الدعوة.

وألقي بعده العشماري باشا الوزير المصري السابق ورئيس وفد الجامعة العربية كلمة قال فيها أن جامعة الدول العربية إذ تشترك في هذه الحلقة بوصفها المنظمة الإقليمية في هذا الجزء من العام تقدر ما لهذه الدراسات من فائدة محققة في توجيه قوى الدول العربية نحو الإصلاح الاجتماعي المنشود وحفز الهمم للعمل على الارتفاع بمستوى الحياة فيها ووضع أسس ثابتة سليمة للإنعاش الاجتماعي السابق.

وتليت كلمة عبد الرحمن عزام باشا الأمين العام لجامعة الدول العربية الذي رجا رجال هذا المؤتمر التوفيق في مهمتهم ولفت نظرهم أن اجتماعهم هذا حدث تاريخي في حياة العرب ودولهم وشعوبهم وأنهم سيشهدون وضع الأسس العملية لتعاون شامل بين العالم والعرب ممثلين في جامعتهم العربية التي أصبحت

الهيئة الإقليمية الثانية في الدنيا والأولى الجامعة الأميركية، تلك الجامعتان اللتان أقرتهما الأمم المتحدة ودخلت معهما في علاقات تعاونية في ميادين الاجتماع والاقتصاد.

ونوه بأن للعرب وخصوصاً في الشؤون الاجتماعية والتاريخية تاريخاً حافلاً وإن الإسلام لما جاء أحل التكامل البشري مكان العصبية القلبية فقال (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ريكم فاعبدون) وإن الإسلام انتقل بالمجتمع خطوة كبيرة حين أقر حقوق الطبقات المحرومة فجعلها حقاً على المجتمع والدولة والعاديين لا منحة ولا منحة (والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم).. الخ.

وفي 16 آب كانت المحاضرة الأولى العامة للدكتور قسطنطين زريق رئيس الوفد السوري وموضوعها (الإدارة العامة للخدمة الاجتماعية، أهمية الإنعاش الاجتماعي في المجتمع والدولة، فكان موفقاً في سرد الموضوع بإيجاز وإصابة. فما علق في الذاكرة من أقواله، إن أول المبادئ الأساسية للإنعاش الاجتماعي هي: 1 . إن الدولة وسيلة لا غاية 2 . إن الغاية من هذا الإنعاش هي سعادة الشعب الذي يؤلف المجتمع والدولة وتحرره. 3 . إن الإنعاش الاجتماعي وسيلة لاكتساب التحرر المنشود وهو واجب لأنه يساهم في هذا التحرر ويؤدي إليه. 4 . إن الإنعاش الاجتماعي يجب أن يبنى على العالم المنظم وعاطفة الخير المتدفقة من المتانة الخلقية والسمو الروحي.. الخ.

ولما كان من الأصول أن يعقب على أقوال المحاضر خطباء آخرون وناقشونه فقد عقب على الدكتور زريق الدكتور وندل كلياند (الولايات المتحدة) والأستاذ محي الدين النصولي (لبنان) وغيره.

وفي اليوم 19 آب كانت محاضرة أحد أعضاء الوفد السوري المهندس الزراعي وصفي زكريا وموضوعها: (العشائر البدوية والخدمات الاجتماعية) وكان هذا أيضاً موفقاً في شرحه وإلقائه. وقد مهد بادئ بدء بوصف لبادية الشام وموقعها

الجغرافي ووضعها الطبغرافي وإقليمها، وذكر بأن هذه العوامل هي التي جعلت سكان هذه البادية بدواً بأشكال وملامح بدنية وأطوار وأخلاق فطرية خاصة بهم وقد قسمهم إلى عشائر جمالة وغنامة ومستقرة ووصف طرفاً من محاسنهم ومساوئهم وأعمالهم ونوه بالمرأة البدوية ومتانة أخلاقها وعلو قدرها لدى البدو. وأخيراً خلص المحاضر إلى الخدمات الاجتماعية اللازمة للبدو وهي إقرار الأمن وقطع دابر الغزو والسلب والنهب وسوق العشائر للتحضر والعمل في الفلاحة والزراعة وسكنى القرى، وإقطاعهم أراض من أملاك الدولة ومدهم بالقروض والمعونات وفتح مدارس عشائرية خاصة بهم، وإرسال مستوصفات طبية وبيطرية لمكافحة أمراضهم البشرية والحيوانية، وإيجاد ملاجئ لمواشيهم ومستودعات لإعلانهم وإصلاح النظم التي وضعها الفرنسيون لهم وتعديل القضاء البدوي الجاهلي وسوقهم إلى الأحكام الشرعية والنظامية الخ.

وقد عقب على هذه المحاضرة كل من العشماوي باشا والأمير مصطفى الشهابي والأستاذ شاكر العاني (العراق) والدكتور كوتريك أحد أعضاء منظمة الصحة العالمية وسيدة مصرية.

وهكذا تتابعت الأيام في إلقاء المحاضرات والتعقيب عليها ومناقشتها بجو جميل من الهدوء والنظام وحسن التخاطب، والعادة هنا إذا ألقى المحاضر كلمته مكتوبة بالعربية أو الإنكليزية توزع ترجمتها من قبل الهيئة فوراً على الحاضرين فيطلع عليها من لا يعرف اللغة التي تلقى فيها. وإذا ألقاها ارتجالاً وعفو الساعة قام مترجم قدير وهو مصري اسمه الدكتور عباس عمار فترجمها فوراً بالحرف لإحدى اللغتين، وبذلك لا تفوت الحاضرين أية كلمة.. كل ذلك يجري قبل الظهر خلال 3 . 4 ساعات، وبعد الظهر إما أن تجتمع لجان التحرير والصياغة للمناقشات والمقررات وإما أن تلقى محاضرات مسائية ويدوم ذلك إلى بعد الغروب. هذا ما اطلعت عليه من شؤون هذا المؤتمر العالمي الهام رأيت أن أتحف

مواطني السوريين وأرجوا أن يحضر منهم من يحب الاستفادة من هذه البحوث
القيمة الطريفة ويسمعها وأن يكون لمحاضرات هذا المؤتمر ومقرراته الفائدة المرجوة
للبلدان العربية.